اللهجة الفلسطنية وظوارها الصوتية

Phonetic Phenomena in The Modern Palestinian Dialect

موسى إسماعيل صالح[1] و زمري عارفين

قسم الدراسات العربية والحضارة الإسلامية الجامعة الوطنية الماليزية

إن علم اللسانيات الحديث يعتمد على ملاحظة الظواهر الصوتية الموجودة في لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات، واللهجة الفلسطينية الحديثة كغيرها من اللهجات العربية تحتوي على عدد من الظواهر الصوتية التي تميزها عن غيرها من اللهجات العربية ، ولا توجد تلك الظواهر في اللغة العربية الفصحى. والباحث في اللهجة الفلسطينية يرى قصورا عند الباحثين في تحليل تلك الظواهر الصوتية. فلم تدرس من قبل دراسة تحليلية معمقة؛ بل كانت مجرد تسليط للضوء على اللهجات في فلسطين، دون البحث في أصول اللهجة وردها إلى أصلها المنبثق من الحضارات السامية واللهجات العربية القديمة. وعليه عملت الدراسة على وصف هذه الظواهر الصوتية كما هي موزعة في المجتمع الفلسطيني، ومن ثم تعقب جذورها التاريخية وربطها بأصولها السريانية والعربية القديمة والكشف عن أصول اللهجة الفلسطينية. ويتبع هذا البحث المنهج التاريخي ؛ هو المنهج التاريخي والاستقرائي و الوصفي التحليلي تحليلا علميا لهجيا من خلال دراسة كتب التاريخ واللهجات العربية، والكتب المؤلفة في اللهجة الفلسطينية. وقد أكدت الدراسة على مدى ارتباط اللهجة الفلسطينية باللهجات العربية التي جاءت مع القبائل العربية قبل الفتح الإسلامي وبعده. وأكدت الدراسة أيضا على تأثر اللهجة الفلسطينية بالحضارات السامية متمثلا بكلمات كثيرة ما زالت تستعمل إلى يومنا هذا وترجع إلى أصول سريانية وكنعانية وآرامية. وأن الفلسطينيين هم أصحاب الأرض الحقيقيين بدليل لهجتهم التي حافظت على كثير من الكلمات القديمة.

Palestine is a small country located at the east of Mediterranean and it forms a connection between Asian and African continents. It is in a distinguished geographical location making it the target for those nations seeking a prosperous living, apart from its religious esteem for the Jews, Christians and Muslims. The question of this study lies in the big variety of the dialects of palestine. Despite its small geographical span and the presence of the phenomenal phonetic differences in the dialects, has yet to get enough attention of study and research. Recent researches have focused on the Palestinian dialects and emphasising the phonetic aspect only, ignoring the historical aspect which could explain the cause for the variety. Therefore, this study intends to explain the effect of ancient civilisations that once existed on the Palestinian soil for instance Syriac, Persian and Turk civilisations on the dialects in Palestine; bring to light the dialects and study them historically by connecting it with the civilisations; and study the dialects in phonetic angle by connecting it with the dialects of the Arab tribes

[1] Corresponding author : musa78745@yahoo.com

migrating from the Arab Peninsula before the Islamic opening of Palestine and afterwards. The effects are present in the phonetic phenomenon in Palestinian dialects, for instance *al-kashkashah* phenomenon and *al-ananah* phenomenon and other phenomena still existing in the dialects of Palestine. This study is a quantitative study using library research by relying on sources and references related to the Palestinian dialects in Palestine. In addition, most importantly, it is found in this study that the Palestinian dialects have their Syriac, Persian and Turk roots which have left their effects on the dialects as can be seen in thousands of words continuously being used. The dialects of the Arab tribes migrating to Palestine have characterised the Palestinian dialects with phonetic phenomenon where every tribe has its phonetic phenomenon or its more distinctiveness from the remaining Arab tribes. This study postulates an interpretation to thousands of non-Arabic words existing in modern Palestinian dialects which are backdated to ancient civilisations.

المقدمة

إن المقصود باللهجة الفلسطينية هي تلك اللهجة الموجودة والمستعملة في داخل فلسطين من قبل أهلها المقيمين فيها إلى الآن وكذلك المقيمين خارجها من الذين نزحوا عن وطنهم وخاصة الجيل الأول الذي بقي على هذه اللهجة. وبالنسبة لموقع فلسطين، فتقع في وسط الوطن العربي فاصلة قارتي اسيا وإفريقيا، وتبلغ مساحتها ٢٧.٠٠٠ كم٢. يحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشرق الأردن ومن الشمال سوريا ولبنان ومن الجنوب مصر وخليج العقبة ، وتضم فلسطين عشرات المدن الرئيسية مثل : القدس ونابلس والخليل ورام الله وجنين وحيفا وعكا ويافا وصفد وغزة وأريحا وبيت لحم والناصرة . إضافة إلى آلاف البلدات والقرى المنتشرة في طول البلاد وعرضها (الدباغ ١٩٩١).

ينقسم المجتمع الفلسطيني إلى ثلاث فئات رئيسية وهم سكان المدن والقرى والبادية ، أي أن هناك الإنسان المدني والقروي والبدوي على أرض فلسطين ، فاللهجة الفلسطينية تتشكل من كلام الفئات الثلاثة مجتمعة، على أنه لا بد من الإشارة إلى أن كل فئة من هذه الفئات الثلاثة لها ميزاتها اللغوية التي تختلف عن الأخرى نوعا ما وخاصة في مجال الأصوات كما سنبين لاحقا. ولكن يمكن القول بشكل عام أن هذه الفروق ليست كبيرة فهي متقاربة إلى حد كبير وتشكل جميعها ما يعرف باللهجة الفلسطينية (خريوش٢٠٠٤). فلسطين دولة صغيرة المساحة. إلا أن فيها تنوعا حضاريا فريدا انعكس على أصوات مخارج الحروف عند الفلسطينيين ، فتنوعت اللهجات وتعددت فرغم صغر المساحة الجغرافية. إلا أن اللهجات فيها متعددة ومختلفة اختلافا كبيرا في نطق الحروف (خريوش٢٠٠٤).

وجميع الكتب المؤلفة والأبحاث المنشورة التي درست اللهجات الفلسطينية لم تهتم بأصول اللهجة الفلسطينية، وربطها بالحضارات القديمة، بل كانت دراساتهم حول اللهجات الفلسطينية بشكل عام، والناظر فيها لا يجد كلاما متعمقا في البحث في الظواهر الصوتية وربطها بكلام القبائل العربية . فمن الباحثين من سرد وقائع التاريخ دون ربط مع موضوع اللهجات مثل كتاب "بلادنا فلسطين"، للباحث مصطفى الدباغ. حيث وضعه في أحد عشر مجلدا، تحدث عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها وعادات أهلها ولهجاتهم، لكن دون أن يربط لهجات أهل فلسطين بأصولهم.

ومنهم من وثق الكلمات الفلسطينية ووضعها على شكل معجم محوسب مثل الباحثة ديمة الأقرع في رسالة ماجستير نشرت عام ٢٠١٥ في جامعة النجاح في نابلس، ولكن هذه الجهود لا تعدو حدود الدراسة المعجمية. وهناك باحثون درسوا أصوات اللهجات الفلسطينية بشكل عام كالباحث عبد الرؤوف خريوش في كتابه اللهجات الفلسطينية دراسة صوتية دون تحديد أصول تلك اللهجات.

ومنهم من درسها بشكل خاص كالباحث محمد جواد النوري حيث بحث في رسالة ماجستير، في كلية دار العلوم في القاهرة عام ١٩٧٩م. بعنوان دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية، ولكنه لم يتطرق للفروق بينها وبين غيرها من اللهجات خاصة اللهجة الريفية في قرى نابلس و لم يبحث في أصل تلك اللهجة، إضافة إلى اقتصار بحثه على اللهجة المدنية في مدينة نابلس .إن جميع الكتب والابحاث المنشورة لم تتناول الظواهر الصوتية الموجودة في اللهجة الفلسطينية، وأيضا لم يتناولوا علاقة تلك اللهجات بالحضارات القديمة والثقافات الأخرى التي سكنت في فلسطين وتركت أثرها على اللهجات المحكية فيها.

يهدف البحث إلى كشف الغموض الذي يحيط بالكلمات الفلسطينية التي كثير منها لا أصل لها في المعجم العربي، وقد يفسرها البعض بأنها من اللحن في القول، دون العلم أن أصلها يعود إلى حضارات قديمة .وتسليط الضوء على الظواهر الصوتية الموجودة في اللهجة الفلسطينية ومحاولة تحليلها وردها إلى أصولها العربية القديمة. والكشف عن أصول اللهجة الفلسطينية، فالدراسة لهجية تاريخية تحاول ربط ظواهر صوتية معاصرة بأصولها السريانية وبلهجات القبائل العربية. ومن أبرز أهداف البحث؛ إثبات حق الفلسطينيين بأرضهم، فهم سكان فلسطين منذ فجر التاريخ ، بدليل لهجتهم المتأثرة بحضارات عاشت على أرض فلسطين منذ آلاف السنين، فأهل فلسطين تتجلى في لهجاتهم امتزاج لهجات القبائل العربية مع لغات الحضارات السامية التي أبت أن ترحل دون أن تترك آثارها المادية و اللغوية.

اللهجة الفلسطينية

تعد اللهجة الفلسطينية إحدى اللهجات العربية الحديثة المنتشرة في الوطن العربي كاللهجة الخليجية والعراقية والمصرية والمغربية وغيرها. غير أنها أحيانا تصنف على أنها لهجة متفرعة عن اللهجة الأم الكبرى وهي السورية، أي سوريا الكبرى التي تضم كلا من سوريا والأردن وفلسطين ولبنان، فاللهجة السورية واللبنانية والفلسطينية والأردنية تشكل جميع ما يسمى باللهجة السورية (خريوش ٢٠٠٤). اسم سوريا مأخوذ من اللفظة اليونانية ***seryan*** أي بلاد السريان (البعلبكي٢٠٠٨)، الذين سكنوا في بلاد الشام منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد وظلوا حتى جاء اليونان والرومان وبقيت آثارهم الحضارية والثقافية واللغوية إلى يومنا هذا. فحضارة امتدت آلاف السنين وأخرجت إلى البشرية أول أبجدية عرفها الإنسان في الساحل السوري من المستحيل أن تموت وتندثر. بل يجري عليها قوانين السنن الإلهية في الحياة والتطور. وما اللغتان العربية والعبرية القديمة إلا شكلا متطورا للغة الآرامية السريانية. واللهجات المحكية اليوم في بلاد الشام شكل حي من أشكال تلك اللغة التي وضعت بصمتها على اللغة العربية الفصيحة وعلى اللهجات العامية في بلاد الشام خاصة في المدن الكبرى في سوريا ولبنان وفلسطين (ولفينسون١٩٢٩).

والبحث في اللهجات السورية يوصلنا إلى مجموعة من الصفات المشتركة تجمع بينها . فالتجاور الجغرافي والتأثيرات التاريخية المشتركة أفرزت نوعا من التشابه بين هذه اللهجات، فاللهجات المدنية في سوريا ولبنان وفلسطين تكاد تكون متشابهة إلى حد بعيد. ومختلفة كثيراً عن اللهجات الريفية المنتشرة في قرى بلاد الشام والبدوية المنشرة في بادية الشام وصحراء النقب. ويرجع هذا كله إلى أصول سكان المدن السريانية وتأثرهم بالحضارة السريانية. وتأثر سكان القرى والبادية بأصولهم التي ترجع إلى القبائل العربية التي جاءت على دفعات كثيرة قبل الإسلام خاصة من اليمن مثل الغساسنة وجذام وعاملة وبنو كلب (الدباغ ١٩٩١).

وبعد الفتوحات الاسلامية جاءت قبائل مضرية عديدة وهم قبائل من نجد والحجاز مثل بني تميم وبني أسد وغيرهم إضافة إلى استقرار كثير من الصحابة في بلاد الشام أمثال خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وبلال بن رباح وسعيد بن زيد وعشرات الآلاف غيرهم من استقر في تلك البلاد وانتشرت ذراريهم في طول البلاد وعرضها وترجع الكثير من عائلات سوريا وفلسطين والأردن بأصولها إلى هؤلاء الصحابة الكرام (سويدان٢٠٠٤). هذا التمازج الفريد بين حضارات سامية عريقة ضاربة جذورها في تاريخ بلاد الشام وبين حضارة عربية جاءت على فترات متعددة من مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، كان له أكبر الاثر في ولادة اللهجة السورية الأم وما تفرع عنها من لهجات تعد اللهجة الفلسطينية فرعا من تلك اللهجة الام (ولفينسون١٩٢٩).

إن اللهجة الفلسطينية هي لهجة ذات جذور لغوية قديمة متنوعة وليست عربية خالصة. بل إنها تشكلت بتأثير الحضارات السامية القديمة ومن أهمها الحضارة السريانية التي تمثلت بالكنعانيين والآراميين والفينيقيين. إضافة إلى حضارات جاءت واستقرت ردحاً من الزمن تاركة أثرها اللغوي، حتى جاءت هجرات العرب اليمانيين قبل الإسلام كالغساسنة و سليم و حمير وكنانة وقضاعة وكندة وذبيان وبنو بهراء وجذام وعاملة وبنو كلب، وهجرات العرب المضريين سكان الحجاز ونجد بعد الفتح الإسلامي لفلسطين سنة ٦٣٨ للميلاد أمثال بنو تميم وبكر وأسد وغيرهم. وانصهرت تلك القبائل في بوتقة الثقافة الفلسطينية وامتزجت بسكان فلسطين الأصليين الذين تعود جذورهم إلى الكنعانيين (الدباغ ١٩٩١).
إن اللهجة تجمع صفات متعددة امتزجت مع بعضها البعض وشكلت اللهجة الفلسطينية. إلا أنه لا بد من التأكيد على أمرين اثنين هما: أولهما: أنه على الرغم من التأثيرات الأجنبية فإن اللهجة بقيت عربية التكوين لفظا ومعنى، بناءً وهيكلاً، معنى ومبنى بشكل عام كباقي اللهجات العربية الأخرى. وثانيها: أن تأثير اللغات الأجنبية القديمة على اللهجة الفلسطينية انحصر جله في مجال المفردات و بشكل محدود في المجال الصوتي (أنيس ١٩٦٠).

وكما أسلفنا فإن أرض فلسطين كانت مقصدا لهجرات القبائل منذ فجر التاريخ من قبائل سامية كنعانية وآرامية وغيرها ومن قبائل يمنية قبيل الإسلام وقبائل حجازية ونجدية هاجرت بعد الفتح الإسلامي، فأرض فلسطين لم تعرف الاستقرار على مدى تاريخها، فما أن ينتهي غزو إلا تبعه غزو آخر وهذا كله مرده إلى أهميتها الجغرافية والدينية فمن يسيطر على فلسطين يستطيع أن يفرض سيطرته على المنطقة بأسرها ، إضافة إلى كونها أرض الأنبياء ومهبط الوحي وفيها جل المقدسات اليهودية والمسيحية والإسلامية (سويدان٢٠٠٤).

الاقتراض اللغوي

ومعنى الاقتراض في اللغة؛ هو أخذ كلمات من لغات أخرى، وتخضع لأنظمة اللغة الداخلة عليها.والإقتراض اللغوي ظاهرة طبيعية في اللغات الإنسانية؛ فلا تكاد توجد لغة واحدة – باستثناء تلك المعزولة في بطن الغابات أو الصحارى الشاسعة – إلا وتتفاعل مع اللغات التي تجاورها أو تحتك بها، وتكون نتيجة هذا التفاعل إما اقتراض عناصر لغوية أو إقراضها، وهناك أمثلة حية على هذه الظاهرة في اللغة العربية وكذلك اللغة الانجليزية (أنيس ١٩٦٥).

لقد اقترضت اللهجة الفلسطينية عددا كبيرا من المفردات وأصبحت هذه المفردات عربية اللفظ مع وصول العربية إلى فلسطين في القرن السابع الميلادي. أي أنه كان لهذه المفردات مرادفا لغويا في اللغة العربية وتبنى الفلسطينيون اللفظ العربي. إنه اقتراض صوتي ضمن المجموعة السامية كما هو الحال مع الكلماتالكنعانية على سبيل المثال. فاللهجة الفلسطينية اقترضت كلمات ليس لها أصول في العربية كما هو الحال مع الكلمات ذات الأصل الفارسي. ومن اللغات التي تركت أثرها في اللهجة الفلسطينية هي اللغات الكنعانية والآرامية والفارسية والتركية ، فأولى تلك الحضارات التي ما زال أثرها اللغوي حاضرا بقوة إلى يومنا هذا ، هي الحضارة السريانية التي تفرع عنها الكنعانيون والآراميون، حيثتعاقبت الحضارات السامية على فلسطين ولكن أهمها كانت الحضارة الكنعانية والحضارة الآرامية اللتان كانتا جزءا من الحضارة السريانية السائدة في بلاد الشام والعراق. وقد اندثرت اللغة الكنعانية و لم يبق منها إلا كلمات موجودة في العامية الفلسطينية ، أما اللغة الآرامية التي تكلم بها عيسى عليه السلام فقد انحسرت بشكل كبير و لم يعد يتكلم بها إلا عدة آلاف في أربعة قرى موزعة في بلاد الشام، أبرزها قرية معلولا غرب دمشق (ولفينسون١٩٢٩).

تلك الحضارات التي استمرت آلاف السنين؛ لا يمكن أن تموت دون أن تترك آثارها الحضارية واللغوية. فلغة تموت وأخرى تولد وتتطور ثم تموت. السنة الإلهية في كل شيئ. واللغات تجري عليها ما يجري على جميع الأشياء. ولولا القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية لجرى عليها ما جرى على بقية اللغات؛ فهي لغة حية باقية بفضل كلام الله عز وجل. ولدت من رحم اللغات السامية وتطورت على أستوت واكتملت قبيل نزول القرآن الكريم (السامرائي١٩٨٥).

وإذا بحثنا في معاجم اللغات السامية القديمة نجد آلاف الكلمات انتقلت إلى اللغة العربية الفصحى مع تغيير البنية الصوتية والصرفية لمناسبة اللسان العربي، ونجد آلاف الكلمات في العامية الفلسطينية تحمل بذورا سامية قديمة، فأغلب أسماء المناطق والمدن والقرى في فلسطين لها جذور كنعانية. فعلى سبيل المثال، أريحا مدينة تقع شرق القدس وأصل تسميتها بذلك نسبة إلى يريحو آلهة القمر عند الكنعانيين. وجنين مدينة شمال فلسطين سميت بذلك نسبة إلى عين جانيم أي العين الغزير. وبيت إيل قرية شمال القدس نسبة إلى (إيل)كبير الآلهة الكنعانية. وإيلات مشتقة كذلك من(إيل). كذلك قرى جمزو، بدو، وغيرها من القرى التي تنتهي بحرف الواو ذات أصل كنعاني لا يعرف لها معنى ، وكذلك مدينة نابلس نسبة إلى ناب الأفعى (لس) وهي أسطورة كنعانية تتحدث عن أفعى قوية سكنت تلك المدينة (الدباغ ١٩٩١).

وفي الحياة العامة يستخدم الأنسان الفلسطيني مصطلحات عامية يظنها عربية. غير أنها كنعانية أو آرامية الأصل مثل كلمة (بعل) نستخدمها للحديث عن الزراعة المروية بماء المطر ، وبعل هو إله المطر عند الكنعانيين .وكلمة (عشيرة) تستخدم للحديث عن العائلة الكبيرة، و(عشيرة) هي زوجة(إيل) كبير الآلهه عند الكنعانيين (حداد ١٩٩٣). وأيضا أسماء الشهور في فلسطين وفي بلاد الشام عموما هي أسماء سريانية ولا تستخدم هذه الأسماء إلا في بلاد الشام وأجزاء من العراق فشهور كانون وشباط وآذار ونيسان وأيار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين كلها سريانية الأصل لا زالت معتمدة رسميا في معاملات الناس في بلاد الشام الشخصية والرسمية ، أما باقي مناطق الوطن العربي فتستخدم الشهور القمرية كالسعودية ودول الخليج العربي ، أو الشهور الغربية الشمسيةكمصر ودول المغرب العربي (عبد الرحيم ٢٠١٢). وكلمة كفربمعنى قرية وهناك مئات القرى في فلسطين تحمل هذا الإسم مثل : كفر قدوم، كفر الديك، كفر لاقف، كفر قاسم، كفر قرع، كفر قليل، كفر قود وغيرها الكثير، وكلمة دجن ما زالت تطلق في فلسطين على "الحنطة" بكافة أنواعها. ومعناها يشمل كافة الحبوب من قمح وشعير وذرة وغيرها. وكلمة دجن ليست سوى اسم إله الحنطة عند السوريين "داجون" او "داغون" الذي كان أيضا إلها للخصوبة وهو من أسماء إله الخصوبة بعل ، وهو البعل نفسه (الدباغ ١٩٩١).

وهناك كلمات كثيرة تنتهي بالواو السريانية ، حيث أن معظم الكلمات السريانية كانت تنتهي بالواو مثل كلمةبرضووهي مستخدمة في اللغة العامية ولا وجود لها في العربية الفصحى. والمتأمل في اللهجة الفلسطينية يجد كلمات تنتهي بالألف بعد الواو السريانية مثل كلمتي " جوّا ، برّا"؛ وهي لفظات عامية وتعنيان : داخلو خارج. واللفظتان موروثتان من اللغة السومرية. ثم انتقلت إلى الكنعانية . كلمة جوّا تعني الداخل، وبرّا تعني الخارج (صليبا ٢٠٠٧). والحضارة الكنعانية لها أثر عميق لا زال واضحا في لهجة سكان فلسطين، والكلمات ذات الأصل الكنعاني كثيرة لا يسع البحث لحصرها ، ولكن نشير إلى بعضها ، ومنها : كلمةكنّ بكسر الكاف. ونستعملها بالعامية كفعل أمر بمعنى "إهدأ". وهي كلمة كنعانية بنفس المعنى وبنفس الاستعمال، وهي في الكنعانية بمعنى سكن أو هدأ أو استقر. وقد يكون شهر كانون بتسميته ذات علاقة بهذه اللفظة، لأنه شهر لا عمل فيه للفلاح. وكلمة كرت، ومعناها في الكنعانية "قوي"، وليس فقط أسم الأله الكنعاني المعروف. لكننا في العربية نستعملها اليوم بشكل "زكرت" أي الرجل القوي.

وكلمة عفيرهي كنعانية الأصل بمعنى تراب وما زلنا نسمي التراب الجاف باسم "عفير" حتى اليوم.وكلمة ينطي بمعنى يعطي، وما زالت مستعملة في بلاد الشام. والكلمة كنعانية (ينتي)، انتقلت إلى اللغة العربية الفصحى وكانت هناك قبائل تقول بها عرفت هذه الاستنطاء ، وفي قراءة القرآن الكريم جاء اعتبار لتلك اللهجة فقرأت آية سورة الكوثر (إنا أعطيناك الكوثر) و (إنا أنطيناك الكوثر). وكلمة رحض، وهي فعل ماض كنعاني بمعنى "غسل"، وما زلنا نستعمل كلمة "مرحاض" للمكان الذي نغسل فيه عادة. من الفعل الكنعاني "رحض" (الذي انتقل إلى العربية)بمعنى غسل.و كلمة شرشونستعملها للدلالة على أصل الأشياء، أو الجذر في النبات، والكلمة كنعانية بمعنى " سلالة"، وغالبا ما نوصف الدخيل على قرية ما أو مدينة ما بأنه "ما لو شرش"، في القرية أو المدينة. أي ليس له أصول أو جذور (أغناطيوس ١٩٦٩).

و لم يتوقف تأثر اللهجة الفلسطينية الحديثة عند الحضارات السامية القديمة ، فقد تأثرت بحضارات أخرى تركت أثرها اللغوي على اللسان الفلسطيني. مثل الحضارة الفارسية؛ وهي حضارة عريقة ضاربة جذورها في التاريخ. وقد احتل الفرس فلسطين أكثر من مرة قبل مجيئ الإسلام، وتركوا أثرهم اللغوي. لكن آثارهم اللغوية تعمقت في اللغة العربية في العهد العباسي عندما تغلغل الفرس في دولة الخلافة وأخذوا ينشرون ثقافتهم، وبرز منهم جل علماء اللغة والأدباء أبرزهم سيبويه وأبو علي الفارسي وابن برد وابن المقفع وغيرهم. وانتشرت حركة الشعوبية التي تمجد آثار الحضارة الفارسية (سويدان ٢٠٠٤).

هذه الحضارة تركت أثرها اللغوي على اللغة العربية الفصحى وعلى لهجات الشعوب العربية المجاورة في العراق وبلاد الشام فدخلت كلمات فارسية إلى اللهجة الفلسطينية. ومن تلك الكمات؛ كلمة بابونج؛ وهو اسم نبات عطري مفيد ينقع بالماء ويشرب ساخنا، ،وكلمة برواز؛ بمعنى الإطار، ثم أطلق على اللوحة الجدارية التي عليها إطار خشبي ، وكلمة مونة : بمعنى مخزون الطعام الذي يخزن لفصل الشتاء، وكلمة الدشمة؛ وهي منطقة محفورة في الأرض تستخدم لأغراض عسكرية،وكلمة طشت بمعنى الإناء الذي يوضع فيه الماء للغسيل.وكلمة برغل وهو اسم نوع من أشهر أنواع الحبوب في فلسطين وكلمة بويه : بمعنى دهان (شير١٩٨٨).

وإذا بحثنا في الفارسية نجد أن كلماتها انتشرت على مستوى واسع في بقاع كثيرة في الوطن العربي ومنها فلسطين ، ومن تلك الكلمات؛ كلمةروزنامة : بمعنى اللوحة المكتوب عليها التقويم. وكلمة شطرنج ؛ وهي اسم لعبة فارسية معروفة ومنتشرة الآن في جميع بلدان العالم ، وكلمة بيجامة : بمعنى ملابس النوم ، وكلمة بازار بمعنى سوق يقام بمواسم معينة وهذه الكلمة انتقلت إلى لغات كثيرة منها الانجليزية ولغة الملايو، وكلمة أطلس بمعنى كتاب الخرائط وهي كلمة يعتقد أنها يونانية لكنها فارسية الأصل ، وأيضا كلمة أستاذ بمعنى الماهر في صنعته وتستخدم حاليا في فلسطين بمعنى معلم، وكلمة مهرجان بمعنى احتفال كبير تعرض فيه فعاليات ثقافية (شير١٩٨٨).

و لم يتوقف الأمر على اللغة الفارسية ، بدل دخلت على اللهجة الفلسطينية كلمات تركية، بحكم أثر الأتراك الحضاري والسياسي والعسكري على الحضارة العربية والإسلامية، فقد حكم الأتراك بلاد الشام فترات تاريخية كثيرة ، وتـــغـــلـــغـــوا في المجتمعات العربية وساهموا اسهامات حضارية وعسكرية كبيرة . كانت البداية مع مجيئ السلاجقة في العصر العباسي الثاني في القرن الثالث الهجري، ثم كان لهم أكبر الأثر في مقاومة الصليبيين ومن أشهرهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين الذين مهدا لتحرير بيت المقدس ، ثم جاء المماليك الذين انقذوا البلاد من خطر المغول وكان معظم المماليك من الأتراك.ثم جاء الأتراك العثمانيون عام ١٥١٦ للميلاد و ضموها إلى إمبراطوريتهم حتى خرجوا منها عام ١٩١٨ للميلاد، عقب هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى (سويدان ٢٠٠٤).

هذه الفترات التاريخية الممتدة عبر ألف عام تركت أثرا لغويا في اللهجة الفلسطينية يتمثل بألفاظ ومصطلحات تركية لا زالت مستعملة إلى يومنا هذا. ومنها (جي) بمعنى صاحب مهنة، وتلحق باسم المهنة أو ما يدل عليها من قرينة، فعلى سبيل المثال(شربجي) أي الشخص الذي يقدم الماء والشراب للناس، وكلمة مواسرجيأي صاحب مهنة السباكة،

وكلمة كندرجي تدل على كندرة بمعنى حذاء، و(جي)الشخص الذي يقوم بتصليح الأحذية (شحادة ٢٠١٠). ويتعدى استخدامها إلى صفة متأصله في الإنسان مثل مشكلجي أي انسان يفتعل المشاكل كثيرا. وكلمة بلطجي أي السارق وقاطع الطريق مستخدماً عصا غليظة تسمى البلطة. وكلمة نسوانجي؛ أي انسان غير سوي له علاقات مع نسوة (نساء). و كلمة شنطة أصلها التركي جنطة بمعنى حقيبة. وكلمة جزمة وهي الحذاء وتستخدم في مناطق جنوب الضفة الغربية وقطاع غزة، أما باقي مناطق فلسطين يطلقون على الحذاء لفظة كندرة التركية الأصلو كلمتي شيش طاووق اسم طعام معروف، أي دجاج مشوي.وكلمة خانوم بمعنى السيدة الشريفة في قومها. وكلمةدوغري بمعنى المشي بخط مستقيم. وتقال أيضا للإنسان صاحب الخلق الحسن، فيقال: فلان دوغري؛ أي خلقه حسن وكلمة دكان بمعنى محل أو بقالة وصاحبها يقال لهدكانجي. وكلمةبقشيشبمعنى إعطاء صاحب المهنة نقوداً أكثر من أجره، إكراما له. وكلمة بشكيربمعنى منشفة أو منديل. وهناك كلمات تركية الأصل تستخدم في مناطق معينة، مثل كلمة أوضهبمعنى الغرفة وهي محصورة الاستخدام في قطاع غزة. أما باقي مناطق فلسطين فلا يستخدمونها.وكلمة طبلية بمعنى طاولة الطعام. تستخدم في مناطق الضفة الغربية، وكلمة طرابيزة وأصلها ترابيزة تستخدم في المدن أيضا بمعنى طاولة (شحادة ٢٠١٠).

اللهجة الفلسطينية وعلاقتها بلهجات القبائل العربية

إذا بحثنا في الكلمات الفلسطينية واللهجة الفلسطينية التي هي واحدة من أهم اللهجات العربية، نقف عند سؤال كبير؛ ما هو أصل اللهجات العربية الحديثة. سؤال يستحق الدراسة والبحث، وقد تناوله الكثيرون من اللغويين بالدراسة والتحليل. ويمكن تلخيص الفرضيات التي قامت عليها هذه الدراسات على عدة فرضيات وهي: الأولى أنأصل اللهجات العربية الحديثة هي اللغة العربية الفصحى. وأما الفرضية الثانية فتقول أصل اللهجات العربية الحديثة هو لغة مشتركة قديمة عايشت الفصحى وتختلف عنها. وأما الفرضية الثالثة فتقول أصلها خليط من الفصحى واللهجات العربية القديمة و اللغات المحلية في الأمصار المفتوحة (القاسمي ١٩٧٥).

والقول بالفرضية الأولى فهو قول ضعيف لا يستند إلى حجة قوية بقدر ما يستند إلى رأي شائع بين الناس ومن ضمنهم المثقفين القائلين بأن اللهجات تشعبت من العربية الفصحى، وما هي إلا انحرافات عن هذه اللغة وعليه ينظر الناس نظرة دونية إلى اللهجات مقارنة باللغة الفصحى التي تتمتع بنظرة عالية لأسباب معروفة (عبد التواب ١٩٨٢). أما الفرضية الثانية؛ تقول إن معظم اللهجات العربية قد انحدرت من اللغة العربية المشتركة و اختلفت آراء علماء العربية (قدامى و محدثين) في نظرتهم إلي العربية المشتركة ولهجاتها؛ فقد ذهب القدامى إلى أن العربية المشتركة هي لغة قريش ذلك أن قريشاً في نظرهم أفصح العرب وأصفاهم لغةً، لأنهم كانوا يسكنون جوار البيت العتيق فمنحهم هذا الجوار سلطة روحية وأدبية، وكانت الوفود تأتيهم من مختلف القبائل العربية فيختارون من ألسنتها ما وافق طباعهم، وما أحسوا أنه صورة راقية من صور الفصحى. ويجتنبون الظواهر السفّة (الشاذة) في هذه اللهجات فجاءت لغتهم خالصة من الأوشاب اللهجية (ابن فارس ١٩٦٤).

أما تأثر لهجة قريش بغيرها من لهجات القبائل نتيجة هذا الاتصال المستمر فأمر مسلم به في الدراسات اللغوية الحديثة حيث إن احتكاك اللهجات بعضها ببعض يقرب الشقة فيما بينها ويذيب الفوارق اللهجية، ويؤدي في النهاية إلى أن تتغلب إحدى هذه اللهجات على شقيقاتها متى أتيحت لها الظروف، كما يؤدي إلى أن تترك هذه اللهجات بصماتها في اللهجة الغالبة (القاسمي ١٩٧٥). تبع فريق من المحدثين علماء العربية القدامى في نهجهم فوضع لهجة قريش في المنزلة العالية، وجعل لها السيادة علي غيرها من اللهجات العربية بفضل ما أتيح لأهلها من ثقافة وجاه وسلطان، وما انتقل إليها من عناصر لغوية زادتها ثراء. فهي عندهم اللغة الفصحى التي نظم بها الشعر وألقيت الخطب في المحافل والمجتمعات، وهي عندهم لغة القرآن والحديث والآثار الدينية والأدبية والعلمية. وممن سار في هذا الاتجاه الدكتور علي عبد الواحد وافي إذ يقول في معرض كلامه عن تغلب لهجة قريش في اتصالها مع اللهجات العربية: "هذا إلى أن لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوبا .....،فقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات العربية أن أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب، فبها كان ينظم الشعر وتلقى الخطب، وترسل الحكم والأمثال، وتدون الرسائل، وتتفاوض الوفود، ويتبارى الأدباء، وتجري المناقشة في النوادي والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب ومختلف قبائلهم وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن غير قصير" (عبد الواحد ١٩٦٧).

ونحن لا نستطيع أن نركن إلى مثل هذه الأقوال التي تجعل لهجة قريش وحدها لغة القرآن والحديث والآداب فاللغات وإن قامت في بدء نشأتها على أساس لهجة سادت غيرها لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية، إلا أنها تصبح مع الزمن ملكاً للجميع. وينسى الناس جذورها الأولى، ولا تعود تذكرنا عند سماعها بمنطقة معينة أو بيئة محلية واحدة. ذلك أنها عندما يتاح لها أن تنتشر بين الجماعات اللغوية الأخرى تأخذ العناصر المشتركة التي تدخل في تكوينها في الازدياد، وكلما ازدادت انتشاراً آثرت الصفات التي تستعيرها من صور اللهجات المحلية (عبد التواب ١٩٨٢).

وهكذا فإن اللغة العربية المشتركة وإن قامت في بداية نشأتها على أساس لهجة قريش إلا أنها أخذت على مر السنين خصائص لغوية من قبائل عربية مختلفة نتيجة اتصال قريش بهذه القبائل في مناسبات عديدة. فلم تعد اللغة المشتركة لهجة قريش وحدها بل هي مزيج منسجم من اللهجات العربية. ولنضرب في هذا المقام مثلاً توضيحياً، فنقول: من الحقائق المعروفة في دراسة اللهجات العربية القديمة أن ظاهرة النبر– أي تحقيق الهمز– من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها (تميم وما جاورها) وأن عدم النبر أي تسهيل الهمز أو تخفيفه؛ صفة حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها (قريش وما جاورها من القبائل الحجازية). فطابع لهجة تميم تحقيق الهمز ولهجة قريش تسهيلها، وقد أخذت العربية المشتركة تحقيق الهمز من تميم. وأصبح الخاصة من العرب مهما اختلفت قبائلهم يلتزمون تحقيق الهمز في الأسلوب الجدي من القول من شعر أو خطابة أو نثر حتى القبائل الحجازية. فهي وإن كانت في لهجات الخطاب تسهل الهمز إلا أنها التزمت تحقيقه في الأساليب الأدبية. وهذا هو ما أشارت إليه الرواية وقولها: (وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا". وقد عقب الدكتور إبراهيم أنيس على هذه الرواية بقوله: "فليس لهذا الاضطرار من معنى سوى أنهم كانوا يهمزون حين يلجؤون إلي اللغة النموذجية وفي المجال الجدي من القول" (أنيس ١٩٦٥).

ومما تقدم فإن الذين ذهبوا من المحدثين إلى أن لهجة قريش هي اللغة العربية المشتركة قد جانبهم الصواب فيما ذهبوا إليه، فقد اتضح أن هذه اللغة ليست لهجة قريش وحدها، ومن أدلة ذلك وجود الهمز في الفصحى وقريش لا تهمز. وبناء عليه فإننا نعتقد أن الفريق الآخر من المحدثين أكثر توفيقا وأقرب إلى وجهة النظر اللغوية. فقد ذهب هؤلاء إلى أن العربية المشتركة مزيج من اللهجات العربية. فاللغة وإن قامت في مرحلة تكوينها على أساس لهجة قريش إلا أنها استمدت كثيرا من خصائصها من اللهجات العربية المختلفة. واستمرت على هذا الوجه تنمو وتزدهر إلى أن تكون إطارها العام وأصبح لها كياناً مستقلاً يعيش إلى جانب اللهجات المختلفة، ويصطنع في المجال الجدي، بينما نصطنع اللهجات في شؤون الحياة العامة (عبد التواب ١٩٨٢).

وممن اتجه هذا الاتجاه الدكتور إبراهيم أنيس الذي تناول في حديثه نشأة اللغة العربية المشتركة في مكة عندما هيئت لها الظروف والأسباب حيث يقول: "فكان أن نشأت بها لغة مشتركة أسست في كثير من صفاتها على لهجة مكة. ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات التي كانت تفد إليها، ثم نمت هذه اللغة مع الزمن وتبلورت مسائلها وأصبح لها كياناً مستقلاً عن كل اللهجات ثم انتشرت مع القبائل والوفود حتى انتظمت جميع أنحاء شبه الجزيرة، وأصبحت اللغة التي ينظم بها الشعراء ويخطب بها الخطباء والتي تصطنع في كل مجال جدي من مجالات القول، فهي اللغة الأدبية النموذجية التي كانت محل الإعجاب والتقدير من العرب جميعا". وعلى هذا الأساس فاللغة المشتركة عنده مزيج منسجم من القواعد والأصول أخذت مع الزمن هذا الشكل العام، فلا تدّعيها لنفسها قبيلة من القبائل ولا يقتصر شأنها على بيئة بعينها من بيئات العرب القدماء. وقد تم تكوينها قبل الإسلام وأصبحت لغة العرب جميعا وأنزل القران الكريم بها ليفهمه جميع الناس في شتى القبائل العربية فلا يمثّل القرآن لغة قريش. وحدها كما يتردد أحيانا في بعض الكتب والروايات وإنما يمثل اللغة المشتركة بين العرب جميعا لغة الأدب من شعر وخطابة وكتابة (أنيس ١٩٦٠). أما الفرضية الثالثة فإنها فإنها تبدو الأكثر قبولا ، فهي ترى أن اللهجات العربية الحديثة هي مزيج من عناصر ثلاث: اللغة الفصحى، ولهجات القبائل العربية، واللغات المحلية للأمصار المفتوحة مثل الفارسية في العراق، والآرامية في بلاد الشام، والقبطية في مصر .

يؤيد هذه النظرية جل علماء اللغة المعاصرين على رأسهم: ابراهيم أنيس وداود سلوم وفاضل السامرائي. فعندما تمت الفتوحات الإسلامية للأمصار المجاورة للجزيرة العربية وغيرها حمل العرب الفاتحين معهم مستويين لغويين من العربية، وهما: اللغة العربية الفصحى؛ لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والآداب والعلوم فمن المرجح أن هذين المستويين بالإضافة إلى لغات الأمصار عاشت جميعها جنبا إلى جنب وتفاعلت وخاصة على مستوى المفردات وشكلت مزيجا لغويا كانت إحدى نتائجه هذه العامية (اللهجات) التي نراها اليوم. وعليه فإن اللهجات العربية هي مولدة من اللغات المحلية للأمصار واللغة العربية الفصحى ولهجات القبائل العربية فاكتست ثوبا عربيا مطعما ببعض الألفاظ والظواهر غير العربية وهذا ينطبق كذلك على اللهجة الفلسطينية التي ارتدت ثوبا عربيا مزينا بكلمات وألفاظ سريانية وكنعانية وآرامية وفارسية وتركية.

الظواهر الصوتية في اللهجات الفلسطينية

أولا: اللهجة المدنية

توجد في المدن والحواضر خاصة في وسط فلسطين وشمالها وغربها على امتداد الساحل، وهي مشابهة للهجة المدنية في مدن سوريا ولبنان مع اختلاف بسيط في أصوات الحروف، ويرجع سبب هذا التشابه إلى أصول سكان المدن في فلسطين وسوريا ولبنان، التي ترجع إلى الآراميين والسريان الذين عاشوا منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد في مدن سوريا التي أخذت اسمها من السريان وفي مدن لبنان وفلسطين وانصهروا في العناصر الوافدة إليهم خاصة العربية في القرنين الخامس والسادس الميلادي وتأثروا بتلك العناصر لكنهم حافظوا على كثير من الكلمات الآرامية والسريانية وعلى طريقة النطق السرياني والآرامي لتلك الكلمات (عبودي١٩٩١).

والباحث في الظواهر الصوتية في اللهجة المدنية يجدها متأثرة بشكل كبير باللغة الآرامية ومن أبرز تلك الظواهر الصوتية:

١- قلب حرف القاف إلى همزة، مثل: قلب تنطق ألب، ومرقة تنطق مرأة، وعرق تنطق عرأ، وقريب تنطق أريب. وحرف القاف ينطق همزة في اللغة السريانية. ولا يزال أهل المدن متأثرين بأصولهم السريانية في نطقهم (خريوش٢٠٠٤).

٢- حرف الذال: وهو غير موجود في اللغة السريانية، فينطق مرة زاياً، مثل: ذكي تنطق زكي، وذوق تنطق زوء. ومرة تنطق دالاً، مثل: ذبح تنطق دبح، وذهب تنطق دهب(الدباس ٢٠١١).

٣- صوت الثاء: يقلب هذا الصوت تاء عند أهل المدن، مثل: ثلاثة تنطق تلاتة، وثوب تنطق توب، وثوم تنطق توم، وهذه الظاهرة يرجعها كثير من الباحثين إلى اللغات السامية خاصة الآرامية.

٤- صوت الضاد: وهو حرف غير موجود في الآرامية، بل في جميع لغات العالم القديمة والحديثة، وهو حرف خاص باللغة العربية التي سميت بلغة الضاد. وكثير من الكلمات المدنية في فلسطين تسمع الضاد دالاً، مثل: ضبع تسمع دبع، وضرب تسمع درب ، وأرض تسمع أرد (خريوش ٢٠٠٤).

وهذه الأصوات جميعها تخلو منها اللغة الآرامية، وما زال سكان المدن في فلسطين متأثرين باللغة الآرامية ومخارج أصواتها .

ثانيا: اللهجة الريفية

توجد اللهجة الريفية في القرى والبلدات المنتشرة في فلسطين. حيث تحيط بكل مدينة عشرات أو مئات القرى، منها الكبيرة مثل: بلدة قباطية التابعة لمحافظة جنين. حيث نهضت ونمت نمواً سريعاً وتحولت من قرية إلى بلدة أو مدينة صغيرة، غير أن الصفات اللهجية عند سكانها ثابتة لم تتغير. ومنها القرى الصغيرة مثل قرية الزبابدة. حيث أن نموها البطيء وهجرة سكانها منها، جعل تطورها محدوداً (حنيطي١٩٩٩).

وسواء كانت القرى والبلدات كبيرة أم صغيرة إلا أنها حافظت على طبيعة الصوت الريفي، المتأثر ببقايا اللغة الآرامية، وهذا التأثر يتركز في الألفاظ والمسميات الدارجة في العامية الريفية، ومتأثر أيضا بلهجات القبائل العربية التي هاجرت قبل الفتح الاسلامي من اليمن خاصة الغساسنة وكلب وجذام، والقبائل العربية الحجازية والنجدية التي جاءت بعد الفتح الإسلامي واستوطنت فلسطين خاصة القرى مثل قبائل تميم وربيعة (الدباغ ١٩٩١).

والباحث في لهجات القبائل العربية، يجد أنها تختلف عن بعضها البعض في نطق كثير من الحروف فسميت تلك الظواهر الصوتية بأسماء، ومنها:

١- الكشكشة: هجةٌ لبني أَسد وربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث فيقولون في "عليك" و "منْكِ": "عَلَيْش" و "مِنْشِ". وأيضاً جملة: كيف حالك؟ تقال: تشيف حالك، للمذكر. وتشيف حالتش للمؤنث (تيمور١٩٧٣). ويقال عن مدينة طولكرم (طولتشرم)، و"رتشـــب" أي "ركب"، وتنحصر هذه الظاهرة في مناطق الأرياف والقرى دون غيرها. وتنتشر في جميع قرى فلسطين (خريوش ٢٠٠٤).
٢- الشنشنة: ويعني إبدال الكاف شيناً سواء لمذكر أو لمؤنث، أي قلب الكاف شيناً مطلقاً، مثل: لبيك اللهم لبيك تسمع لبيش اللهم لبيش. وأيضا كلمة "ديك" تنطق "ديش" وهذه لهجة كثير من قبائل اليمن (السيوطي ١٩٩٨).
٣- الاســـــتـــنـــطـــاء: وهي ظاهرة إبدال العين نوناً في مواقع صوتية محددة. وهي خاصة بكلمة أعطي ومرادفاتها فيقال أنطى، وينطي أي يعطي و أنطيناك أي أعطيناك. وترجع هذه الظاهرة في أصلها إلى قبيلة هذيل (تيمور ١٩٧٣).
٤- الـــعـــنـــعـــنـــة: وهي ظاهرة قلب الهمزة عيناً في بعض المواضع فمثلا كلمة "سؤال" تسمع "سعال". وكلمة "أنك" تسمع "عنك". وهذه الظاهرة خاصة بقبائل تميم فيقال عنعنة تميم (السيوطي ١٩٩٨).
٥- صوت القاف: وهو من أشهر ما يميز اللهجة الريفية. حيث يتم قلب القاف إلى كاف، مثل :كلمة "قلب" تسمع "كلب"، و"قعد" تسمع "كعد"، و"قام" تسمع "كام"، و"مرقة" تسمع "مركة". حتى أسماء المدن والقرى؛ فالقدس تسمع "الكدس". وقلقيلية تسمع "كلكيلية". وقباطية تسمع "كباطية"(خريوش ٢٠٠٤)، وبعض القرى تنطقها غيناً، مثل: قادر تسمع غادر. وترجع هذه الظاهرة إلى تميم، التي تعد من أكبر القبائل التي استوطنت فلسطين بعد الفتح الإسلامي (الدباغ ١٩٩١).
٦- صوت الضاد: حيث يتحول إلى ظاء، مثل: أرض تسمع أرظ، وعرض تسمع عرظ (خريوش ٢٠٠٤).

ثالثا: اللهجة البدوية

وهذه اللهجة منتشرة في جنوب فلسطين في صحراء النقب، عند القبائل والعشائر البدويةـــ، المنتشرة في صحراء النقب. وهي متأثرة بشكل كبير بلهجات قبائل سيناء ومن ظواهرها الصوتية :

١- العنعنة: ومعناها قلب الهمزة عيناً. مثل: "آلة" تسمع "عالة"، و"الإمام" تسمع "العمام" ، واسأل" تسمع "إسعل" ، و"سؤال" تسمع "سعال"، وهذه الظاهرة تعود لتميم (السيوطي ١٩٩٨).

٢- الوتم: وهي ظاهرة قلب السين تاء، مثل: "الناس" تسمع "النات"، و"أكياس" تسمع "أكيات"، وهي ظاهرة منتشرة على نطاق ضيق في بعض قبائل البدو في منطقة بئر السبع. وتنسب هذه الظاهرة لقبيلة بهراء اليمنية (تيمور ١٩٧٣).

٣- الاستنطاء : وهي ظاهرة جعل العين نونا إذا جاورت الطاء ، مثل : "أعطى" تسمع "أنطى"، و"أعطيناك" تسمع "أنطيناك". وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بكر (السيوطي ١٩٩٨).

٤- صوت القاف: وطريقة نطقها عند البدو تختلف عن سكان المدن والقرى، فهم ينطقون القاف جيماً، مثل: "اقعد" تسمع "اجعد"، و"قدام" تسمع "جدام". والجدير بالذكر أن صوت القاف تحول إلى همزة في المدن. مثل: قلب تسمع ألب، وتحول إلى كاف في القرى مثل: قلب تسمع كلب، وأيضا تحول إلى غين، مثل: قادر تسمع غادر. وتحول إلى جيم في البادية مثل: "اقعد" تسمع "اجعد"، وبقيت القاف قافاً عند فئة قليلة من الشعب الفلسطيني وهم الدروز، الذين يسكنون شمال فلسطين. فحافظوا على نطقها، فهم يقولون مثلا: قوم من قدامي (خريوش٢٠٠٤).

خلاصة البحث

وفي نهاية بحثنا فقد تناول المقال بعض الظواهر الصوتية الموجودة في اللهجة الفلسطينية وحاولت تقديم تفسير لهذه الظواهر من خلال ردها في معظم الحالات إلى ظواهر صوتية مماثلة كانت موجودة في اللهجات العربية القديمة ، فعلى المستوى الصوتي، وهو مجال الدراسة التي بين أيدينا ، نرى اتصالا قويا بين هذه اللهجة واللهجات القديمة، وهذا يؤيد فرضية البحث من أن اللهجة ترجع في أصولها إلى اللهجات القديمة وليست هي بالضرورة متشعبة عن الفصحى . ومن ناحية أخرى فإننا نرجح أن بعض الحالات الصوتية يمكن ردها فقط إلى تلك اللهجات بل إن لهذه الحالات جذورا سامية كالسريانية والكنعانية والآرامية التي مكثت في أرض فلسطين آلاف السنين.

تعد الآرامية والسريانية أصل اللغات السامية الحديثة ؛ العربية والعبرية ، ولأن هذه اللغات من عائلة لغوية واحدة فلا توجد أصوات غريبة أو غيرسامية في فلسطين ، فالحاصل أن فلسطين شهدت ولادة لهجات سامية وتطورها وموتها، وقبل أن تندثر تسري مفردات وخصائص صوتية إلى لغة سامية أخرى تنمو وتتطور وهكذا جاءت العربية جامعة مفردات وخصائص صوتية سامية الجذور، ثم نمت وتطورت حتى استطاعت استيعاب كلام الله عز وجل فنزل القرآن الكريم عربيا متحديا أصحاب هذه اللغة أن يأتوا بآية مثل آياته ، وبفضل كلام الله تم حفظ هذه اللغة العظيمة من الاندثار ؛ فلا يجري عليها سنة التطور والموت كبقية اللغات، فهي باقية بقاء القرآن وتلاوته ، وهو محفوظ من رب العالمين من أي تغيير أو تحريف ، قال الله جل في علاه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [٢])

فرغم محاولات القضاء على اللغة العربية من زمن الشعوبيين ؛ وهم حركة فارسية ظهرت في القرن الثاني الهجري تدعو لإحياء الثقافة الفارسية ، إلى زماننا هذا حيث الحركات القومية والعلمانية التي تدعو إلى هجر الفصحى والسير في

[٢] القرءان ، الحجر ١٥: ١٩

ركب الحضارة الغربية ثقافة ولغة مرورا بالمستشرقين والمستغربين الذين حاولوا جهدهم لطمس معالم هذه اللغة ، ولكن اللغة العربية بفضل الله وبفضل كلامه الشريف بقيت صخرة ضخمة تتحطم عليها أعتى أمواج الحاقدين، فهي لغة عبادة ربع سكان الأرض فتلاوتهم للقرآن وصلاتهم ودعاؤهم وحجهم بلسان عربي، فسبحان من رعى هذه اللغة واصطفاها وجعلها لغة نبيه ولغة كتابه العزيز.

وهناك أمر آخر ملاحظ وهو التوزيع الجغرافي للأصوات الموضوعة الذي لا ينطبق تماما مع ما كان موزعا في اللهجات القديمة، فمثلا صوت الضاد الموجود في الوسط المدني أو الحضري والظاء الموجودة في الوسط القروي. أي حسب المتوقع فإن الضاد لم تستعمل من قبل الحضر بل إن قريشا كانت تؤثر استعمال الظاء. أما وجوده في البادية الفلسطينية فإنه يتلاءم مع التوزيع القديم ، ومثال آخر هو توزيع صوت القاف الذي ينطق همزة في الوسط المدني والذي من المفروض أن يكون كافا حسب التوزيع القديم وكذلك وجود الجيم غير المعطشة يستدعي الملاحظة والتفسير والبحث عن أصل ذلك . وبعبارة أخرى فإن التوزيع الحالي لسكان فلسطين يصعب مطابقته مع توزيع السكان في شبه الجزيرة العربية قديما . فإننا نرى اختلاطا إلى حد كبير وخصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود الوسط القروي الذي لم يكن مصنفا كفئة مستقلة في الزمن القديم .

المصادر والمراجع

القرآنالكريم.
أنيس، إبراهيم. ١٩٦٥م. *فياللّهجات العربّية* ط٣. القاهرة/ مصر: مكتبة الأنجلو المصرية .
أنيس،إبراهيم. ١٩٦٠م. *مستقبلا للغة العربية المشتركة*. القاهرة/ مصر: معهد الدراسات العربي.
أغناطيوس، يعقوب الثالث. ١٩٦٩م. *البراهين الحسية على تقارض السريانية*. دمشق/ سوريا: دار المعمدانية للنشر.
ابنفارس، أحمد. ١٩٦٤م. *الصاحبيفي فقه اللغة*. بيروت/ لبنان: مؤسسة بدران للنشر .
البعلبكي. منير. ٢٠٠٨م. *قاموس المورد*. بيروت/لبنان: دارالعلم للملايين
تيمور، أحمد . ١٩٧٣م. *لهجات العرب*. ،القاهرة/ مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
حداد، حسني. ١٩٩٣م. *دراسة في التاريخ الديني السوري القديم*. دمشق/سوريا: دارأمواجللطباعةوالنشر.
حنيطي،حرب. ١٩٩٩م. *قصة مدينة جنين*. راماالله/ فلسطين: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
خريوش، عبدالرؤوف.٢٠٠٤م. *اللهجات الفلسطينية دراسة صوتية*. عمان/ الأردن: دار أسامة للطباعة والنشر.
الدباغ، مصطفى.١٩٩١م. *بلادنا فلسطين*. بيروت/ لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر.
سويدان، طارق. ٢٠٠٤م. *تاريخ فلسطين المصور*. الكويت. دار الإبداع الفكري.
السامرائي، إبراهيم. ١٩٨٥م.*دراسات في اللغتين السريانية والعربية* ط١.بيروت/لبنان: دارالجيل.
السيوطي، جلال الدين. ١٩٩٨م. *المزهرفي علوم اللغة*. بيروت/ لبنان: دارالكتبالعلمية.
شحادة. حسيب. ٢٠١٠م. بحث منشور "الالفاظ التركية الدخيلة على اللغة العربية" جامعة هلسنكي. فنلندا.
شير،أدى. ١٩٨٨م.*كتاب الألفاظ الفارسية المعربة*ط٢. القاهرة/ مصر: دارالعرب للنشر.

صليبا، جورج. ٢٠٠٧م. *معلم اللغة السريانيةط٢* .بيروت/لبنان: مطبعةالكنسية. .

عبودي، هنري. ١٩٩١م. *معجم الحضارات السامية* ط ٢ .طرابلس/ لبنان: مطبعةجروسبرس.

عبدالرحيم، ياسين. ٢٠١٢م. *موسوعة العامية السورية*. دمشق/سوريا. وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب .

عبدالتواب، رمضان. ١٩٨٢م. *مدخل إلى علم اللغة* .القاهرة/ مصر: مكتبةالخانجي.

القاسمي، علي. ١٩٧٥م. *علم اللغة وصناعة المعجم*. الرياض/ السعودية: جامعة الملكسعود.

ويلفينسون، إسرائيل. ١٩٢٩م. *تاريخ اللغات السامية*. القاهرة/ مصر: مطبعة الاعتماد للطباعة والنشر.